

## في تفسير الكتاب المقدس، الجزء الثاني المتروبوليت سابا (اسبر)

### القراءة الروحية للكتاب المقدس

ثمة قراءة ندعوها روحية أو شخصية؛ يقرأ المؤمن فيها نصّ الكتاب المقدس بطريقة تأملية، فيعكس الكلمات على حياته الشخصية. لأنّ "الكتاب كُله من وحي الله، يُفيد في التعليم والتّفنيد والتّقويم والتّأديب في البرّ" (٢ تيمو ٣: ١٦)، فإننا نقرأ الكتاب المقدس باعتباره كلمة الله الموجهة إلينا شخصياً. لا يتعاطى المؤمن مع الكتاب المقدس كما يتعاطى مع أيّ كتاب آخر. لذا تنصح الكنيسة أن نصلي قبل البدء بالقراءة، ونستدعي الروح القدس كي يمنحنا الفهم الصحيح المفيد لنفوسنا.

كَتَبَ القُدِّيس تِيخُنُ الزادونسكي (+١٧٨٣): "إِذَا كَتَبَ مَلِكُنَا الأَرْضِيّ، إِمْبِرَاطورُنَا، رِسَالَةً لَكَ، أَلَا تَقْرَئُهَا بِفَرَحٍ؟ لَقَدْ تَلَقَّيْتُ رِسَالَةً، لَا مِنْ إِمْبِرَاطورِ أَرْضِيّ، بَلْ مِنْ مَلِكِ السَّمَوَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّكَ غَالِباً مَا تَزْدِرِي هَذِهِ العَطِيَّةَ، هَذَا الكَنْزَ الَّذِي لَا يُثَمَّنُ."

وَيُضِيفُ شارحاً إِنَّ فَتْحَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَقِرَاءَتَهَا، يَعْنيان الدَّخولَ فِي مُحَادَثَةٍ شَخْصِيَّةٍ وَجْهًا لوجهٍ مَعَ اللهُ الحَيِّ. يَقولُ حَرْفِيًّا: "عندما تقرأ الإنجيل، فإنّ السيّد المسيح نفسه يتكلّم معك. وفيما تقرأ، فأنت تُصلي وتتكلم معه."

اعتاد مطران أبرشيّتي (يوحنا اللاذقي) القول: "أنا يجب أن نقرأ الكتاب بشغف كما يقرأ العاشق رسالة الغرام المرسلّة له من حبيبته."

يعتبر القُدِّيس مرقس النَّاسِك (القرن الخامس - السّادس) أنّ "المتواضع في أفكاره والمنشغل في العمل الرُّوحِيّ، يطبّق كلّ شيء، يقرؤه في الكتاب المقدس، على نفسه وليس على جاره." نتغذّى روحياً حين نقرأ الكتاب المقدس مطبّقين ما نقرؤه على أنفسنا. فيصير السؤال ليس "ماذا يعني هذا النصّ؟" بل، "ماذا يعني لي؟"

كما يؤكّد القُدِّيس تِيخُنُ بقوله: "المسيح، بنفسه، يتكلّم معك." الكتاب المقدس حوارٌ مُباشرٌ وحميمٌ بين المُخلّصِ وِنَفْسِي - المسيح يتوجّه إليّ، وقلبي يستجيب له."

في هذه القراءة، أرى كلَّ روايات الكتاب جزءاً من سيرة حياتي الشخصية. رواية سقوط آدم تقابل صورة واقعية لسقطاتي ورفض العيش بحسب إرادة الله. آدم وحواء هما أنا. فعندما يسأل الله آدمَ "أين أنت؟" (تك ٣:٩)، فهو يسألني أنا، وعليّ أن أجيب! في هذه القراءة نرى، على سبيل المثال، في حادثة تسكين العاصفة (مرقس ٤:٣٥-٥١) صورة نفسنا أو الكنيسة التي تتلاطمها أمواج التجارب والشدائد، ونرى إلى المسيح مخلصنا ومنقذنا.

وفي حدث الميلاد لا نكتفي بولادة المسيح في مغارة، بل نسأل أنفسنا كيف يولد اليوم فينا. كذلك نتأمل كيف نُصلب معه وكيف نقوم معه. وعندما أقرأ قول المسيح "من طلب منك فأعطه،" أسأل نفسي هل أفعل هذا؟ وكيف يمكنني أن أفعله؟"

\*\*\*

يعتبر الشيخ إميليانوس الآثوسي أنّ الطريقة الصحيحة في قراءة الكتاب المقدس ببساطة هي أن نسمح لله بأن يقول لنا ما يريد أن يقوله هو عبر الكتاب المقدس. كذلك يميّز بين:

- قراءة الكتاب من أجل المعلومات والمعرفة للمعرفة،
- وبين قراءته بهدف حيازتنا على محتواه الحقيقي أي الروح القدس.

ويقول عن هذه المعرفة الروحية: "إنها الدخول في حياة الله والامتداد فيها؛ إنها نزول الله وإقامته في ما بيننا."

وينصح قائلاً: "اقرأ الكتاب ولكن لا تنسى ما يختص بخطاياك ولا تخفض الكتاب إلى قضية بحث عقلائي، لأنه عند هذه النقطة يتوقف عن أن يكون كلمة الله، وتبدأ أنت بالتعامل معه كما تتعامل مع شيء بشري. يجب أن يكون معيار قراءتك هكذا: أن تجلب قراءتك للكتاب السلام لقلبك، والشركة مع الله ومحبة القريب ووعي حالتك الخاطئة، التي تشعرك بعدم استحقاقك الوقوف أمام الله."

عندما نعي كل ذلك نغتنى بتأملات من سبقونا.

نسوق مثلاً للقديس سمعان اللاهوتي. في تأمل له يقرأ أحداث سفر الخروج روحياً، فيعتبر:

- مصر رمزاً لأرض الخطيئة،
- فرعون للشيطان،
- وموسى القائد.

وهكذا يطبق باقي الأحداث والشخصيات على ذاته. يقول:

"ماذا أقول لك ممّا رأيته في مصر؟ إنّه نزل إليّ فوجدني أنا العبد الفقير، فقال لي هلمّ يا بُني لأقودك إلى الله، فقلت له من أعماق جحودي: ما هي العلامة التي تقدمها لي حتى أثق؟ أتستطيع أن تخلصني من مصر، وتنزعني من يدي فرعون الغاشّ. فعلتُ ما أمرني به... كان فرعون يمسكني، الوكلاء المرجفون أجبروني على الاهتمام بالطين والتبن."

وفي نصّ له آخر، نرى كيف تنعجن صور وكلمات الإنجيل في تأمل آخر، يجعل قراءته للإنجيل صلاة وحواراً له مع الله:

"قل لي أيها السامع: ماهي حبة الخردل؟ (متى ١٣: ٣١) تتصورها؟... هذه الحبة هي نعمة الروح القدس، والبستان هو القلب، قلب كل إنسان. هناك يلقي الإنسان هذه البزرة ويخفيها في أعماقه، ... ويحافظ عليها ويتعهد لها حتى تنمو، وتصبح شجرة ترتفع نحو السماء."

"الآن وقت العمل، أمّا المستقبل فوق التتويج. إذا كنت حكيمًا فسأكون لك، في هذه الأرض، الجوهرة التي يُحاز عليها، وحبّة القمح، وحبّة الخردل، والخميرة التي تخمر عجنتك. سأكون لك ماء و ناراً ندية، ووشاحاً وغذاء وشراباً كلياً، هذا ما قاله المعلّم. إذا كنت تعترف بي هنا، فهناك ستتملكني، وأصبح لك كلّ شيء. أمّا إذا تركت هذه الأرض، وأنت تجهل فعل نعمتي، فإنك ستجدني هناك، قاضياً لا يلين."

"يا مسيحي! ياإلهي لا تدني، لاتحاكم من أهانك كثيراً، بل اقبلني كأخر أجرائك... (لوقا ١٥: ١٩) أهلني لأن أراك إلى جيل الأجيال!"

فليؤهلنا الرب أن نقرأ كلمته هكذا، فتكون لخلصنا.